وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث البريطانية

كيف يمكن أن تتخلص سورية من إرهاب الأسد

2016-09-07

(مقال نشرته صحيفة التايمز البريطانية)

نرى أنفسنا مجبرين على مشاهدة واحدة من أقدم مواطن الحضارة تتحول إلى أنقاض، بينما تتحطم أرواح عائلات بريئة بسبب كافة أشكال الذخائر المستخدمة، من البراميل المتفجرة وحتى غاز الكلورين.

إن المعاناة في حلب آخر حلقة من صراع طال لمدة مماثلة للحرب العالمية الثانية. الحرب السورية كلفت أرواحا بلغ عددها – وفق تقديرات الأمم المتحدة – 400,000 شخص.

وقد تسبب القتال في تشريد نصف الشعب السوري، واضطر الكثيرون منهم للهروب من سورية لدرجة أن تبعات أزمة الهجرة أثرت على أوروبا ككل، ومازالت تداعياتها السياسية ملموسة. ويتحمل المسؤولية الكبيرة عن هذه الكارثة رجل واحد: رجل تسببت تكتيكاته العسكرية البربرية بقتل الغالبية العظمى من بين 400,000 قتيل.

ذلك القائد هو بشار الأسد. وسبب تلك الكارثة آلة القتل التي يتبناها، وبراميله المتفجرة، وأيضا – في نهاية المطاف – قتاله لأجل حماية بقائه السياسي شخصيا.

إن ما يدعونا للمطالبة برحيله عن السلطة ليس مجرد من باب الأخلاق. بل ملاحظة بسيطة وعملية بأن لا يمكن أن يكون له دور في حكومة مستقبلية في سورية الجديدة – لأن طالما استمر الأسد على رأس السلطة في دمشق، لن يكون لديه أي منطقة باقية في سورية ليحكمها.

ومن المحال أن تنهي قوات المعارضة، سواء كانت معتدلة أو غير ذلك، صراعها لخشيتها بأنها في حال وضعت أسلحتها قد تترك الأسد ليكون هو الآمر الناهي. الأسد هو العامل الوحيد الأكثر فعالية لتجنيد الميليشيات السنية بكافة شرائحها. والأسد هو من حرّك واستغل عصابة القتل، داعش.

لهذا السبب يلتزم المجتمع الدولي بمجمله – من حيث المبدأ على الأقل – بالتخلص من هذا الدكتاتور السوري. حتى روسيا قبلت بضرورة عملية الانتقال السياسي. لكن من جهة أخرى، توظف روسيا آليتها العسكرية للحيلولة دون خسارة الأسد ولإبقائه في السلطة.

وحين يُطلب من روسيا تفسير هذا الموقف الذي لا يمكن تبريره بأي شكل، فإنها ترد بطرح سؤال واحد متعنت: ألا وهو السؤال الذي بدأنا فيه. ماذا بعد؟ ما الذي سيأتي بعد رحيل الأسد؟

إنه سؤال يستمد قوته من حرب العراق، ومن فشل الغرب التام في الإعداد لتبعات إزالة صدام من السلطة. فقد أطحنا بقائد بعثي متسلط، وتبعه انتشار الفوضى.

فما الذي يمنع تكرار ما حدث في العراق؟ هناك جوابان ردا على هذا السؤال. الأول هو أن الأسد ليس متسلطا، بل هو قائد ضعيف ليس باستطاعته بعد الآن توحيد بلده – ليس بعد أعمال القتل التي تسبب

بها. والشعب السوري بكل تأكيد لن يشعر بالأمان طالما استمر الأسد في سيطرته على الجيش، أو طالما كان قادرا على إرسال طائرات لتحلق فوق شوارع المدنيين.

والرد الثاني هو أن هناك بديل هذه المرة. حيث نستضيف في لندن اليوم الهيئة العليا للمفاوضات، وهي المعارضة الأوسع تمثيلا في سورية. وسوف تطرح رؤيتها لما ستكون عليه سورية بعد رحيل الأسد: ديموقراطية وتعددية – وكذلك تتبنى الافتراض العقلاني بأن لا يمكن التخلص من المؤسسات القائمة في الدولة. كانت تلك (واحدة من) الأخطاء التي ارتكبت في العراق، ولن تتكرر مجددا.

يجتمع في لندن اليوم أشخاص لديهم خبرة في إدارة الحكم في سورية، لكنهم يرفضون تماما نظام الدولة البوليسية الذي يتبناه الأسد. بل إنهم يريدون بناء بلد جديد تتوفر فيه الرقابة والتوازن، وتُحترم فيه حقوق النساء والأقليات.

وطموحهم هو ضمان توفير منطقة آمنة، تخلو من الإرهاب، يمكن للاجئين العودة إليها. وفوق كل ذلك، الهيئة العليا للمفاوضات لا تمثل انتصار جماعة طائفية على غيرها، أو تحويل السلطة من طائفة في سورية لتتولاها طائفة أخرى.

بل تقترح الهيئة العليا للمفاوضات انتقالا تدريجيا. أولا، ستكون هناك مرحلة التفاوض بين النظام والمعارضة تمتد 6 شهور، يصاحبها وقف تام للأعمال القتالية وإدخال المساعدات إلى كافة أنحاء البلاد.

ويليها مرحلة تمتد 18 شهرا تتولى فيها هيئة انتقالية شؤون الحكم في سورية؛ وهذه الهيئة تتألف بالضرورة من مزيج من شخصيات المعارضة وممثلين عن الحكومة الحالية ومن المجتمع المدني.

حينها يرحل الأسد. وتُجرى بعد ذلك انتخابات، وتُشكّل حكومة يمكنها التركيز على طرد داعش من معاقله المتضائلة في أنحاء الرقة.

مازالت هناك فرصة لضمان نجاح هذه الرؤية. حيث إن استطاع الروس والأمريكان التوصل لاتفاق وقف الأعمال القتالية، يمكن حينها استئناف المفاوضات في جنيف – ربما مع اختلاف أن كافة الأطراف سيرون حينها على الأقل الهيكل العام لسورية ما بعد الأسد.

مازال ملايين السوريين يعيشون في سورية – هذا إلى جانب 4.8 مليون فروا إلى الخارج وكل ما يتوقون إليه هو إنهاء العنف. وهذه هي الفرصة لتوضيح ما يمكن تحقيقه لهم: أول صورة ذات مصداقية لسورية بدون الأسد.

Source: https://www.gov.uk/government/speeches/how-syria-can-escape-assads-reign-of-terror.ar